Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أريـد مـن زمـني ذا أن يبلغـني   مـا ليس يبلغـه مـن نفسه الـزمـن
لا تـلـق دهـرك إلا غير مكترثٍ   مـا دام يصحب فيـه روحك البدن
فما يـدوم سرور مـا سُـررتَ بـه   ولا يـرد عليك الفـائتَ الحزنْ

من البيت الأول تحس هذا الاحتشاد والاقتصاد . وكأن المتكلم حكيم متقطع الأنفاس ، يرسل الحكمة في أقل لفظ ، ويعترف في أوْجز تركيب . وتأمل هذا الاستفهام الباتر « بم التعلل ؟ » إن فيه طاقة من الحزن تتأملها في لحظة صمت تجيء بعده ، تعادل الأحزان التي تفجرها بعد ذلك هذه الاعترافات المباشرة المتتابعة في سرعة خاطفة « لا أهل ولا وطن ولا نديم ولا كأس ولا سكن » .

إن تياراً من الحزن العميق يتسلل إلى نفوسنا من خلال هذا السياق الفني الموحي المؤثر . كيف توصل الشاعر إلى بناء هذا البيت . واختيار هذه الحروف وهذه التراكيب والأبنية اللغوية التي أحدثت كل هذا التأثير ؟ .

نحن نعلم – على وجه اليقين – أن الشاعر الموهوب لا يتوقف وهو في حالة إبداعه الشعري عند حرف معين لأنه مهموس أو مجهور أو صائت . ولا عند استفهام معين . ولا عند مجموعة من التراكيب يحدث تتابعها تأثيراً معيناً في أنفس المتلقين . ولكنه ينساق إلى كل هذا بفطرته الفنية . وطاقته الشعرية . وعلينا نحن أن نقف أمام هذه النصوص طويلاً لنتعرف على القيم الجمالية التي تحدث كل هذا التأثير .

ونقول إنه يكثر من استخدام النون والميم واللام . وهي كلها أصوات صامتة مجهورة . والنون حرف سني أغن والميم شفوي أغن كذلك واللام سني منحرف وهذه الأصوات الانفجارية الصامتة تحدث في النفس هذا التيار الحزين .

أو نرصد المقاطع الكثيرة التي يستخدمها وقد تصل إلى خمسة عشر مقطعاً في الشطر .

أو نلتفت إلى المدات وحروف اللين التي تعطي للصوت مساحات زمنية أطول .

أو نلاحظ في هذا المشهد براعة الشاعر في استغلال التماثل والتضاد والتوازي بين الأسماء والأشياء (الوطن والسكن) (النديم والكأس) (الرُوح = البدن) (السرور = الحزن) .

كل هذا التشكيل اللفظي ، كان فطرة عند أبي الطيب . ولكنه كان إلى جانب ذلك يهتم اهتماماً – غير واع أيضاً – بنقل التجربة من خصوصيتها الحميمة ،